

Tunisie

Mustapha Ben Romdhan

تونس

سلسلة الربابية
مجموعة مصطفى بن رمضان

أطلقت لفظة "الربابية" في بداية الأمر على الفرق الموسيقية النسائية التي كانت تمارس في الزوايا شكلا من أشكال الإنشاد الديني الشعبي المرتبط بمدح الأولياء والصالحين. وكان هذا الإنشاد يصاحب بآلتين إيقاعيتين وبآلة نغمية هي الرباب، ومن ثم جاءت تسمية "الربابية". ومع مرور الزمن، تم استبدال الرباب بآلة الكمنجة ثم بالمزود (وأحيانا بالزكرة) ولم تعد هذه الفرق حكرًا على النسوة. والملاحظ أن هذه الممارسة الموسيقية عرفت تطورا ملحوظا في أوساط الجالية اليهودية بتونس ولعل ذلك ما يفسر العدد الهام من الموسيقيين اليهود الذين كانوا يمارسونها في سياق البعض من الطقوس الدينية الخاصة بهذه الجالية، مثل "التفليم". والسلسلة هي عبارة عن تتابع لمجموعة من القطع المغناة (نوب أو نوبات) التي تنفذ كل واحدة منها في طبع مختلف.

ويعتبر الفنان مصطفى بن رمضان (وهو من مواليد سنة 1941) من بين آخر المحافظين على هذه التقاليد الموسيقية الشعبية. وقد أخذ فنه عن نخبة من أبرز الفنانين المختصين في هذا اللون ومن بينهم علي بوقرة وأحمد ريدان وبوعتقة ويوسف بالربي وكلا الأخيرين من اليهود.

انخرط في منتصف الخمسينات في ممارسة العزف على آلات الإيقاع والمزود (الذي تعلمه على أيدي أبرز العازفين في تلك الفترة ومن بينهم الشاذلي الحماص شهر المدلل) ثم هاجر إلى باريس سنة 68 وأقام بها قرابة الست سنوات، حيث عمل مطولا مع عدد من مشاهير الفنانين اليهود التونسيين، الذين استقروا بالعاصمة الفرنسية. سجل سلسلة الربابية مرتين الأولى على قرص 33 لفة في بداية السبعينات بفرنسا مع شركة "دنيا" (حيث صاحبه بالغناء كل من رؤول جورنو وموريس ميمون ولالو كحلوي ويوسف بالربي) والثانية على شريط كاسيت، سنة 2000 بتونس.